جئت إلى حافة الأبدية حيث لا شيء يغنى ... لا الأمل ولا السعادة ولا وجهك وهو يتراءى من خلال العبرات

أوه ، أغمس حياتى الخاوية فى هذا الخضم ، وأغمرها فى أعماق الكمال ثم دعنى استشعر — مرة واحدة — اللذة المفقودة فى لمسة من لمسات خلود العالم

— ٨٧ —

يا إله المعبد الخرب ! قد انقطعت أوتار القيثارة التى أوقع عليها لحن الثناء عليك ، والنواقيس — فى سكون الليل — لا تعلن عن ميعاد الصلاة لك ؛ والهواء حواليك ساكن هادىء

لقد هبت نسمات الربيع فى مسكنك الخالى وفى عطفيها سيل من الزهور ... الزهور التى لا تقدم إلا فى أوقات عبادتك

وعبدك ، عابر السبيل ؛ ما يزال يلحف ، يطلب بعض رحمتك فما ينال شيئاً ، وفى النسق ، حين تختلط النار والظلماء بما على الأرض من كآبة وعبوس ، يرتد هو إلى معبدك الخرب وفى قلبه الظمأ

يا إلـه المعبد الخرب ! كم من عبد يقبل إليك فى صمت ! وكم من ليلة من ليالى التهجد تدبر وفى أضعافها سراج منطفىء !

وكم من صورة جميلة زوقتها يد الفن الخادع ثم هى تندفع فى مجرى النسيان المقدس حين يأتى عليها الزمن

ولكن إله المعبد الخرب ما يبرح فى منأى عن العبادة فى إهمال مروع

— ٨٨ —

لا صخب ولا صياح ... تلك مشيئة سيدي ؛ لذلك سأتحدث فى همس ، وسيكون صوت قلبى دندنة فيها نغم لحن

إن الناس يشتدون إلى سوق الملك ، وهناك البيّعان ؛ غير أنى رجعت قبل أن يحين وقت الانصراف ... غادرت السوق عند الظهر وهو ما يزال يموج بالناس

إذن دع الأزهار تتفتح فى حديقتى وإن لم يكن قد آن أوانها ، وأرسل النحل في الهاجرة يطن طنينه الضعيف

لقد قضيت ساعات طوالاً فى صراع حادّ بين الفضيلة والرذيلة ؛ والآن ها هو رفيقى يريدنى على أن ألقى بقلبى بين يديه ؛ وأنا لا أدرى ، لعلما أراد أن يدفعنى إلى ما لا خير فيه

كامل محمود حبيب

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٣٤٥ — لعبة الدبوق

فى (نثار الأزهار) لابن منظور : الدَّبُّوق [1] كرة شعر ترمى في الهواء ، ثم يتلقاها الغلام ضارباً لها تارة بصدر قدمه ، وتارة بالصفح الأيمن من ساقه اليمنى ، رادّاً إياها إلى العلو على الدوام . ومن بديع التشبيه قول الأرّجانى فى غلام يلعب بالدبوق :

يهتز مثل الصعدة السمراء
فقدُّه من شدة التواء
كالغصن تحت العاصف الهوجاء
تراه من تمدد الأعضاء
كأنه كواكب الجوزاء

٣٤٦ — انما رغبتنا فى العفاف

فى (كنايات الأدباء) لأحمد بن الجرجانى الثقفى : من كناية العامة : إذا قال أحدهم : سلامتها خير من كل شى . فقد ولدت امرأته اثنين فى بطن ...

وإذا قال : انما رغبتنا فى العفاف . فقد تزوج قبيحة فقيرة...

وإذا قال : لقمة البيت أطيب من كل شىء . فقد فاتته دعوة

وإذا قال : وما شهدنا إلا بما علمنا . فقد ردت شهادته فى حق من شهد له ...

وإذا قال : مابحلال الله من باس فقد تزوجت أمه ...

٣٤٧ — الاقتصاد ، البخل

فى شرح النهج لابن أبى الحديد : الفرق بين الاقتصاد [2] والبخل أن الاقتصاد تمسك الانسان بما فى يده خوفاً على حربته وجاهه من المسئلة ، فهو يضع الشىء موضعه ، ويصبر عما لا تدعو ضرورة إليه ، ويصل صغير بره بعظيم بشره ، ولا يستكثر من

(١) الدبوق كتنور لعبة يلعب بها الصبيان معروفة (التاج)

(٢) ما عال من اقتصد ولا يعيل أى ما افتقر من لايسرف فى الانفاق ولا يقتر (النهاية) واقتصد فعل لازم

المودات خوفاً من فرط الاجحاف به[١] ، والبخيل لا يكافىء على ما يسدى إليه[٢] ، ويمنع أيضاً اليسير من استحق الكثير ، ويصبر لصغير ما يجرى عليه على كثير من الذلة[٣]

٣٤٨ — دع أيهما شئت وخذ الآخر

فى (الأغانى) : قال على بن عبد الله الجعفرى[٤] مرت بى امرأة فى الطواف وأنا جالس أنشد صديقاً لى هذا البيت :

أهوى هوى الدين واللذات تعجبنى
فكيف لى بهوى اللذات والدين ؟

فالتفتت المرأة إلىّ وقالت : دع أيهما شئت ، وخذ الآخر ..

٣٤٩ — ١٤ يوماً ... !

فى (شـذرات الذهب) : حكى غير واحد أنه وجد بخط الناصر[٥] (الأموى) أيام السرور التى صفت له دون تكدير يوم كذا من شهر كذا ، من سنة كذا ، ويوم كذا من كذا ، وعدت تلك الأيام فكان فيها أربعة عشر يوماً ... !

٣٥٠ — نسب بين حيطان

قال رجل لعبد الملك بن الزيات : أُمتُّ إليكم بجوارى
فقال : نسب بين حيطان ...
نظم ذلك بعضهم فقال :

أرى الجوار نسباً بين الجدر
والعطف والرقة حيناً والنور
طباع نسوان وصبيان غرر[١]

٣٥١ — ما الذى نستعمله مما تبيحه الشريعة

فى (وفيات الأعيان) : كان الأمير قرواش[٢] بن المقلد (صاحب الموصل والكوفة والانبار) كريماً وهاباً ذهاباً ، جارياً على سنن العرب[٣] ، نقل عنه أنه جمع بين أختين فى النكاح فلامته العرب على ذلك

فقال : خبّرونى ما الذى نستعمله مما تبيحه الشريعة[٤] ؟ ..

٣٥٢ — النرجس

لما قدم على بن سعيد المغربى المؤرخ مصر المحروسة صنع له أدباؤها وليمة فى بعض متنزهاتها[٥] ، وانتهوا إلى روض نرجس[٦] فجعل أبو الحسين الجزار يطأ عيون النرجس برجليه ، فأنشده ناصر الدين حسن بن النقيب :

ياواطىء النرجس ، ما تستحى أن تطأ الأعين بالأرجل[٧]

فتهافتوا على هذا البيت وراموا إجازته فقال ابن أبى الأصبع :

فقال : دعنى لم أزل محنقا على لحاظ الرشأ الأكحل

وكان أمثلَ ماحضرهم ، ثم أبوا أن يجيزه غير ابن سعيد فقال :

قابل جفونا بجفون ولا تبتذل الأرفع بالأسفل

---

(١) الغرة : الغفلة وقلة الفطنة والتجربة ، وهو غار وغر (وجمع هذا أغرار وغرار ككتاب) وغرير (وجمعه أغرة وأغرة) والأنثى غر وغرة فذلك الجمع (غرر) فى بيت الراجز لم تفيده كتب اللغة — التى بين يدى — وكم فات ، كم فات هذه المعجمات ...

(٢) ابن خلكان : قرواش بكسر القاف وسكون الراء : فعوال من القرش : الكسب وفى النجوم الزاهرة : قرواش بفتح القاف ومعناه باللغة التركية عبد أسود . وفى (الذيل) من شعره :

لله در الغانيات فانها صد الغمام وصيقل الأحرار

(٣) يريد البدو ، وقد تورط ابن خلكان فى هذا المعنى تورط ابن خلدون . العرب هذا الجيل الخاص سكان المدن والقرى (الكليات) وفى (تهذيب الأزهرى) رجل عربى وجمعه العرب ، والأعرابى البدوى والاعرابى إذا قيل له يا عربى فرح بذلك وهش له ، والعربى إذا قيل له يا أعرابى غضب له (رواه اللسان)

(٤) فى (النجوم الزاهرة) بعده . فهذا من ذلك . فى (الوفيات) : كان قرواش يقول ما فى رقبتى غير خمسة أو ستة من أهل البادية قتلتهم وأما الحاضرة فما يعبأ الله بهم

(٥) المتنزه — مثل المتنزه — فى نثرهم وشعرهم منذ القرن الثالث كثير ، وفى (النفح) لحميد بن مالك فى دمشق :

فكلها يجال الطرف متنزه وكلهم لصروف الدهر أقران

(٦) بالفتح والكسر وهو دخيل والكسر أحسن إذا أعرب (اللسان)

(٧) حزفت همزة الاستفهام ، فى المغنى : الأخفش يقيس ذلك عند أمن اللبس

---

(١) تكليفه مالا يطاق ، افقاره وذهاب ماله

(٢) أسدى إليه : أحسن (التاج) أسدى إليه معروفاً اتخذه عنده (المصباح) وفى هذا العصر يقول بعضهم : أسدى إليه شكراً ...!

(٣) فى (الكلم الروحانية) : أفلاطون : البخل يحسن الرفيع التواضع ولتنبيه الخمول ، وللوصول الوحشة والتفرد ، ويجب إليه أن يكون رعية بعد أن كان راعياً خوفاً من غائلة المؤن عليه ، والسخاء فى ضد هذه الحال والاعتدال أخذ بأحسن ما فيهما

(٤) هو صاحب الأبيات المشهورة . (وقف الهوى بى حيث أنت الخ وقد عزاها أبو تمام فى (حماسته) إلى أبى الشيص الخزاعى (محمد بن عبد الله) وعزاها الأصبهانى إلى تلى بن عبد الله هذا

(٥) عبد الرحمن بن محمد كانت ولايته من الغرب لأنه كان شاباً وأعمامه وأعمام أبيه حاضرون فتصدى إليها واحتازها دونهم ، ووجد الأندلس مضطربة بالمخالفين مضطرمة بنيران المتغلبين ، فأطفأ تلك النيران ، واستترك أهل العصيان ، واستقامت له الأندلس فى سائر جهاتها بعد عشرين سنة من أيامه ، ودامت أيامه نحو خمسين سنة استفحل فيها ملك بنى أمية بتلك الناحية ، وهو أول من تسمى منهم بالأندلس بأمير المؤمنين (النفح)